« الرسالة » موئل الرأى الحر

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

أعتقد أن أهم ماتهدف إليه رسالة الصحافة فى الوجود إثارة الرأى العام وتبصيره ببواطن الأمور وخفاياها ، ولن تتمكن من تأدية هذه المهمة إلا إذا احتضنت الرأى الحر ، وصارت موئلا له . والصحافة التى لا تحتضن الرأى الحر ولا تصير موئلا له — لا تعتبر صحافة فى ميزان الحق ولو بلغت الذروة من المجد والقمة من الذيوع .. والصحف فى مصر كثيرة لاحصر لها ، ولكنها مع تباين مشاربها ، وتنوع اتجاهاتها ، وتعدد ألوانها ، لاتظفر بواحدة منها تقيم للرأى الحر وزنا ، وتحسب له ولو ذرة من الحساب ، فهى إما حزبية يهمها تأييد سياسة حزبها والتنديد بسياسة غيره ، وإما مستقلة يهمها أن تظل على الحياد — مؤثرة نشر الموضوعات التى لا تحتمل الجدل ، ولا تجر إلى المناقشة . وهى إما طائفية تعنى بالدعاية لمذهبها ، وسلق مخالفيه بألسنة حداد . وهناك لون رابع تافه تفاهة تجعله لا يشعر بوجوده ولا يكترث لظهوره

والذى لا ريب فيه أن هذا التقسيم لايشمل مجلتنا (الرسالة) إذ أن لها مشربا خاصا يميزها على غيرها ، واتجاها فريدا يجعلها فى معزل عن سواها — أما مشربها فهو الأدب المصفى . تحمل إلى العروبة رسالته — وتزعم وحدها جبهته ، وتذود عن كرامته ، وتنقيه من شوائب الدخن ، وتحميه من بوادر الوهن . وأما اتجاهها فهو إلى تشييد حصن حصين للرأى الحر . وإقامة مسرح أمين للبحوث الجريئة ، وبهاتين الخاصتين استطاعت الرسالة أن تشق طريقها فى الحياة مرفوعة مكرمة . وأصبح لها مكانتها المرموقة فى مصر والشام والعراق والمغرب ، وفى كل بلد ينطق بالضاد ويعز بالعربية ، وأصبحت موضوع ثقة الطبقة المثقفة ، ومحل تقدير عشاق الأدب

وحين نقول :— إن مشرب الرسالة هو الأدب المصفى . فإنما نقصد الأدب الخالص المعتمد الذى يتناوله الأديب وهو أكثر ما يكون اطمئنانا . ويتلقاه المتلمذ إليها وهو أوفر مايكون شوقا إليه وائتناسا به . وليس معنى قولنا : إن مشرب الرسالة الأدب أنها معنية بمادة الأدب وحدها ، وإنما معناه أن الأسلوب فى شتى موضوعاتها من الأدب الممتاز . حتى لتجد أن الألفاظ كلها منتقاة ، وأن العبارات جميعها مصفاة ، وأن صفحات الرسالة قد حرم عليها الركة فى الأسلوب ، والتعقيد فى الألفاظ ، والتكلف فى العبارات ، وأحل لها المرونة المتقنة ، والعذوبة الممتعة . وليس من المبالغة فى شئ إذا قلنا : إن موضوعات الرسالة سواء أكانت فى الأدب أم فى التاريخ أم فى الدين أم فى السياسة أم فى الفن أم فى غير هذه ، هى من الموضوعات القيمة المقدرة لأن لها مستوى يجب أن يظل عاليا لايرقى إليه ولا يعلى فوقه . ولذلك فهى لا تتسع إلا للموضوعات الحية القوية فى أسلوبها ، وفى مادتها ، وفى أدلتها وبراهينها

وحين نقول : إن للرسالة اتجاها خاصا هو تشييد حصن حصين للرأى الحر ، فإنا نعتبرها الوحيدة فى الصحف والمجلات المميزة بهذا الاتجاه الخطير الدقيق . تفتح له صدرها ، وتفسح صفحاتها ، وتطلق له العنان حتى يؤدى مهمته آمنا من جمود المتزمتين ، وسفه المتنطعين ، وثرثرة الفارغين ، وجعجعة المتخلفين ، وصلف المكابرين . فالرسالة لاتجد غضاضة فى أن ينقد على صفحاتها أبرز كتابها ، ولو كان صاحبها ، وأن يناقش أكبر الناس ، ولو كان ممن بلغوا أسمى مكانة فى العلم والأدب ، لأن الجميع فى ميدانها سواسية كأسنان المشط ، لافرق بين كبيرهم وصغيرهم ، ورئيسهم ومرءوسهم ، إلا بقدر ما يصيب كل منهم من التوفيق والسداد ، وبقدر ما يقدم كل منهم من قوى الحجة وساطع البرهان . .

أول عهدى بالرسالة كتلميذ لها كان منذ أن عرفت الطريق إلى الصحف ، فاتخذتها كمرجع ملم له قدره ومنزلته . أنهل من معينه كلما شئت ، وأتناول منه غذاء فكريا كلما احتجت ، ويحتل من نفسى المكانة الأولى معتزا به اعتزازى بأغلى كنز فى عالم الأدب . وأول عهدى بالرسالة ككاتب متواضع من كتابها كان منذ أعوام قلائل ، يوم أن كتبت لها منتقدا رأيا فى التفسير للامام محمد عبده ، وأنا واثق من أن الإقدام على نقد أمثال